آل المسلمة ودورهم في السياسة العباسية
٢٦٣-٥٨٣هـ

م.م.مهدي عبد الحميد حسين
كلية التربية قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين و على اله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

كان لآل المسلمة الذي يعود نسبهم إلى جدتهم من قبل الأم واسمها حميدة بنت عمر أسلمت سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م وأولادهم يعرفون ببني المسلمة كان لهم دور مهم وفعال في السياسة العباسية ، بتأثيرهم على خلفاء بني العباس .

واستطاع بني المسلمة أن ينالوا ثقة الخلفاء وأن يتقلدوا مناصب رفيعة ومهمة في الدولة العباسية فمن هذه المناصب الوزارة وأستاذية الدار ومن خلال هذين المنصبين المهمين خلع عليهم الخلفاء الألقاب تلو الألقاب التي تدل على مكانتهم الكبيرة وترفع من شأنهم بين الخاصة والعامة .

وبني المسلمة من بيت رياسة وسيادة وذو مكانة عالية في حقبة من الزمان ، توارثوا المناصب جيل بعد جيل .

وكانوا متضلعين بعلوم كثيرة مع سدادة رأي ووقور عقل ، ولهم فضائل عديدة، إذ كانت لهم مجالس للعلم ومجالس للفقراء والمتصوفة وأنفقوا عليهم كثيرا من الأموال .

ويعد منصب الوزارة ذو أهمية كبيرة جدا في زمن دولة بني العباس (١٣٢-٦٥٦ هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) ومنصب الوزارة لم يكن موجوداً قبل انتقال الخلافة للعباسيين ، فقد ظهر المنصب إلى حيز الوجود في الدولة العربية الإسلامية أول مرة في العصر العباسي على الرغم من معرفة العرب به .

إن مسؤوليات الوزير لم تكن في البداية تبعد كثيرا عن مسؤوليات الكاتب في العصر الأموي ، إلى أن جاء عهد الخليفة هارون الرشيد حيث ظهرت أبهة الوزارة وتبلور المنصب وأعطى للوزير البرمكي صلاحيات واسعة حيث أشرفه على الدواوين كافة ، وفي زمن الخليفة المأمون كان لوزيره الفضل بن سهل نفوذ واسع حيث سمي ((ذو الرئاستين)) أي الحرب والتدبير.

وفي زمن تسلط البويهيين (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) ضعف وانحط منصب الوزير لان شاغله اصبح تحت تأثير الأمير البويهي يأتمر بأمره وينتهي بنهيه وليس لـه أن يتخـذ أي مبادرات إدارية أو سياسية وخاصة في عهد معز الدولة و عضد الدولة .

إلى أن جاءت فترة النفوذ السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م) حيـث اصـبح الوزير اكبر موظف إداري واكثر أهمية وقد انعكس هذا على الألقاب التي تلقب بها (الـصدر – والدستور وغيرها) .

ولذا رأيت من المناسب أن يكون بحثي عن آل المسلمة الذين لهم دور كبير في الـسياسة العباسية ، وقد قسمت بحثي المتواضع هذا إلى مبحثين ومقدمة وخاتمة ، تناولت فـي المبحـث الأول نسب آل المسلمة وأصلهم وألقابهم وشيوخهم ووفاتهم .

وفي المبحث الثاني : أثرهم في الحياة السياسية ، وبينت في الخاتمة أهم نتائج البحث .

المبحث الأول

آل المسلمة ، نسبهم ، كنيتهم ، أصلهم ، ألقابهم .

المسلمة جدتهم من قبل الأم ، وهي حميدة بنت عمرو [١] ، والتي أسلمت سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م[٢].

نسبهم يعود إليها ، أي إلى حميدة بنت عمرو واولادها يعرفون ببني المسلمة.

تزوجت يزيد بن منصور الكاتب ، فأولادها أم كلثوم ، فتزوجها أبو عمر الحسن بن عبيد بن عمرو بن خالد ابن الرفيل[٣].

الرفيل اسم مهاذر جسنس ، وقيل : مهاذر بن جشنس بن ابروز بن جسنس بن خسروان [٤].

يقول ابن الدبيثي : ((هكذا ساق النسب القاضي ابو المحاسن عمر بن علي القريشي ومن خطة نقلت ، قال: الرفيل أول من اسلم ، وكان اسلامه في زمن عمر بن الخطاب ﷺ)) [٥] .

وبنوه منها يعرفون ببني المسلمة وهم من بيت رياسة وسيادة وذو مكانة رفيعة على قدم الزمان [٦]، ومن أشهرهم :

١- علي بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر بن الحسن ابو القاسم المعـروف بـابن المسلمة [٧]، المولود ببغداد سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م ، استكتبه الخليفة القائم بـأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)[٩].واستوزره سنة (٤٤٣هـ) [١٠]، كان متضلعا بعلوم كثيرة مـع سـدادة رأي ووقور عقل ، وكان عزيز عليه ، ولقبه رئيس الرؤساء وجمال الورى وشرف الوزارة [١١]،

وعاش من العمر ٥٣ سنة حيث قتل في ٢٨ ذي الحجة سنة (٤٥٠ هـ/١٠٥٨م) [١٢] ، قتله البساسيري * عند دخلوه بغداد في تلك السنة ، وقد مكث اثنتي عشرة سنة وشهراً في خدمة الخلافة [١٣].

٢- عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة [١٤] كان يشغل منصب أستاذية الدار * للخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥ هـ/١١٣٥-١١٦٠م)[١٥] ، له فضائلٌ كثيرة وعديدة ، سمع من ابو منصور بن خيرون وابا سعيد البغدادي وابا الحسن محمد بن احمد بن توبة ، وسمع منه عمر القرشي والياس بن جامع [١٦].

وكذلك له صدقات واعطية ومجلس للفقراء والمتصوفة وانفق عليهم كثيراً [١٧]. وولد ببغداد ٤٧٥هـ/١٠٨٢م [١٨] ، وتوفى فيها سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م[١٩] ودفن بالمقبرة الملاصقة لمقبرة الرباط الزوزني .

٣- عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة [٢٠]، المولود ببغداد سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) [٢١] ، وكان ابوه استاذ دار المقتفي لامر الله [٢٢]، فلما مات ابوه سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) [٢٣]، ولي هو مكانه فبقي كذلك إلى أن مات المقتفي لامر الله ، واقره الخليفة المستنجد بالله على أستاذية الدار أيام خلافته (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) [٢٥] ، ورفع من قدره فلما تولى المستضيء الخلافة (٥٦٦-٥٧٥ هـ/١١٧٠-١١٧٩م) [٢٦] وقع الاختيار عليه أيضاً لتولي الوزارة [٢٧] ، وقد خلع الخليفة المستضيء على الوزير ابو الفرج محمد بن عبد الله لقب عضد الدين [٢٨] ، وكان يعرف بوزير العراق [٢٩].

توفى الوزير عضد الدين ابو الفرج سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م)[٣٠] ، وقد اعقب ولدان ، هما : علي بن المسلمة ، وعماد الدين بن المسلمة [٣١].

شيوخهم وطلبهم للعلم ومناصبهم

عرف بني المسلمة بأنهم من بيت سيادة ورياسة وذو تقدم ومكانة مرموقة في حقبة من الزمن ، ولم يزالوا أهل عدالة وولاية وعلم وهذا ما سنلحظه من خلال هذا البحث.

إذا كان رئيسُ الرؤساء أبو القاسم قد استكتبه الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)[٣٢] وثم استوزره سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م)[٣٣] ، قال الذهبي : ((استكتبه القائم ، ثم استوزره ، وكان عزيزاً عليه جداً ، وكان من خيار الوزراء العادلين))[٣٤] .

سمع الحديث في صباه وتضلع بعلوم عديدة ومن شيوخه [٣٥]:-

١- أبو الفرج جده.
٢- إسماعيل بن الحسن بن هشام الصرصري .
٣- أبو احمد بن أبي مسلم الفرضي.

وقال الخطيب البغدادي : ((وقد اجتمع فيه من الالات ، ما لم يجتمع في واحد من قبله ، وكان معروف بسداد الرأي ، ووفرة العقل ، وسداد مذهب ، وحسن الاعتقاد)) [٣٦].

درس هذا الوزير ونهل من علوم مختلفة فضلاً عن حفظ القران الكريم ، إذ أخذ من الفقه ، والفرائض ، والنحو ، والعروض ، وقد كانت تلك أمنياته وهو حدث ، حدثنا عنها فيقول : ((رأيت في المنام ، وأنا حدث كأني اعطيت شبه النبقة الكبيرة ، وقد ملأت كفي ، والقي في روعي انها من الجنة ، فعضضت منها عضة ، ونويت حفظ القرآن ، وعضضت أخرى ونويت درس الفقه ،وعضضت أخرى ، ونويت درس الفرائض فما من شيء من هذه العلوم إلا ورزقني الله منها نصيباً)) [٣٧] .

وقد أشار الخطيب البغدادي إلى روايته لحديث متواتر عن الرسول ﷺ إذ يقول: ((اخبرنا علي بن الحسين بن احمد بن المسلمة الوزير اخبرنا إسماعيل بن الحسن بن عبد الله الصرصري ، حدثنا عن أبي ذنب عن المقري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ((إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه فكذبوا به))[٣٨] .

أما ابن الوزير وهو أبو الفرج محمد بن عبد الله وزير الخليفة المستضيئ (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) فقد كان حافظاً للقرآن سامعاً للحديث ، إذ كان أول سماع الوزير في ذي الحجة سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م [٣٩] .

وقد تلقى هذا الرجل علومه من عدة الشيوخ وهم [٤٠]:-

١- أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين .
٢- أبي الحسن عبيد الله بن محمد البيهقي .
٣- أبي القاسم زاهر بن الطاهر الشحامي النيسابوري .
٤- أبي الحسن محمد بن احمد بن توبة .

أما ابن الوزير أبو الفرج بن محمد بن احمد وهو علي بن المسلمة المعروف بأبي نصر فقد جالس الصوفية ولبس لباسهم وسمع الحديث ببغداد [٤١]ومن شيوخه [٤٢]:

١- أبي الوقت .
٢- ابا الفضل الارومي .

وفاتهم:

نتيجة للدور الكبير والمهم الذي لعبه آل المسلمة في الحياة السياسية من خلال تقلدهم المناصب السياسية المهمة في الدولة العباسية فقد كان لهم الكثير من الأعداء الذين حسدوهم وتآمروا لقتلهم والقضاء عليهم.

فقد كان للوزير علي بن المسلمة المعروف برئيس الرؤساء وزير الخليفة القائم للمدة من (٤٤٣-٤٥٠هـ/١٠٥١-١٠٥٨م) أعداءٌ وكان من أخطرهم البساسيري وهو قائد تركي للخليفة القائم[٤٣].

كان للوزير ابن المسلمة المعروف برئيس الرؤساء عداء مع البساسيري وصراع كبير جداً ونتيجة لهذا الصراع تمكن البساسيري من قتل ابن المسلمة ببغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م [٤٤].

وفي وصف مقتل الوزير علي بن المسلمة يقول ابن الجوزي : ((في يوم الاثنين ٢٨ من ذي الحجة اخرج أبو القاسم بن المسلمة من محبسه بالحريم الظاهري مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد احمر وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ وأُركب جملا وطيف به في مجال الجانب الغربي ووراءه من يصفعه بقطعة من جلد وابن المسلمة يقرأ (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)[٤٥].

وشهر في البلد ونثر عليه أهل الكرخ لما اجتاز بهم خلقان المداسات وبصقوا في وجهه ، ولعن وسب في جميع المحال .... فحط من الجمل ، وخيط عليه جلد ثور وقد سلخ في الحال وجعلت قرونه على رأسه ، وعلق بكلابين من حديد في كتفيه واستقى في الخشبة حياً ... فخاف من تولى أمره أن يعفو عنه البساسيري فضرب الكلابين في مقتله فقال عند الموت الحمد لله الذي أحياني سعيدا وأماتني شهيدا))[٤٦].

أما عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن المسلمة وزير الخليفة المستضيئ، فقد قدر الله له أن يموت قتلاً أيضاً.

لقد عزم عضد الدولة أبو الفرج على أداء فريضة الحج ، وقد اصطحب معه مجموعة من العلماء والزهاد وكل ما يحتاج إليه ، وعبر نهر دجلة إلى الجانب الغربي في موكب عظيم ، وعبر معه أصحاب مناصب وكان ذلك يوم الأربعاء ٤ ذي القعدة ٥٧٣هـ /١١٧٧م، فيما كانت جموع أهل بغداد يبكون عليه ويدعون له وذلك لحسن سيرته وإحسانه بالجاه والمال ومروءته وقربه من الناس [٤٧] .

وكان الوزير قد رأى في المنام انه معانق عثمان بن عفان ﷺ وحكى عنه ولده: ((انه اغتسل قبل خروجه وقال : هذا غسل الإسلام وانا مقتول بلا شك فلما وصل باب قطفتا* خرج إليه رجل صوفي وبيده قصة فقال :مظلوم فقال الغلمان هات قصتك ، فقال : ما أسلمها إلا إلى الوزير فقال : دعوه فجاء إليه فوثب عليه وضربه بسكين في خاصرته فصاح الوزير قتلني وسقط من دابته وانكشف رأسه فغطاه بكمه، وبقى على قارعة الطريق ملقى وتفرق نم كان معه إلا حاجب الباب ابن المعوج* بنفسه عليه فضربه الباطي بسكين وجرح وظهر له رفيقان فقتلوا واحرقوا وحمل الوزير إلى دار بقطفتا))[٤٨].

توفى الوزير محمد بن عبد الله المسلمة يوم الخميس سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م)[٤٩] فغسل وكفن وحمل إلى جامع المنصور ببغداد وحظر أرباب الدولة بأسرهم ، فدفن عند أبيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وجلس أولاده للعزاء يوم الجمعة [٥٠].

ويذكر ابن الجوزي : ((اختلفوا في سبب قتله فقال بعضهم إن تتامش واطأ الإسماعيلية على قتله لما كان بينهما ، فبعث الخليفة فقبض على تنامش واخذ أمواله وحبسه في التاج))[٥١].

أما أبو النصر بن الوزير محمد بن عبد الله بن المسلمة فلم يتولَ أي منصب سياسي إذ خرج من بغداد قاصداً دمشق بعد مقتل أبيه فأكرمه صلاح الدين الأيوبي بحيث إذا أكل صلاح الدين طعاماً أكل ابن الوزير معه ثم يغسل يده معه في طست واحد وقد قال السلطان صلاح الدين فيه : ((هذا وزير ابن وزير حتى ينقطع النفس مع الدين المتين))[٥٢] .

أقام ابن الوزير عند السلطان محترماً إلى أن توفى في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ودفن بجبل بقاسيون وصلى صلاح الدين الأيوبي عليه وقد بلغ من العمر ٤٤سنة [٥٣].

وبذلك طويت صفحات هذه الأسرة إذ لم تنقل المصادر أثر لأحد من ذريتهم ممن كان له أثر يذكر .

((المبحث الثاني))
((أثرهم في الحياة السياسية))
((أستاذية الدار))

لآل المسلمة أثرهم الواضح في الحياة السياسية وتلك تعطينا صورة واضحة عن مدى مكانتهم الرفيعة وتوغلهم في مناصب الدولة ولعل من أهمها على الإطلاق هما منصبي أستاذية الدار والوزارة.

ومن يتولى أستاذية الدار يكون قيماً على جميع الديار العباسية والمحافظ عليها، ظهرت هذه الوظيفة من زمن الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) [٥٤].

وأول من تولى هذا المنصب من آل المسلمة هو عبد الله بن هبة الله بن المظفر في خلافة المقتفي لأمر الله بعد عزل سعيد بن هبة الله بن الصقيل الهاشمي [٥٥] إذ بقى عبد الله بن هبة الله في منصبه هذا إلى آخر ايامه سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)[٥٦].

وفي العام (٥٤٨هـ-١١٥٣م) تولى ابنه أبو الفرج أستاذية الدار بعد وفاة والده زمن الخليفة المقتفي لأمر الله [٥٧].

ولما توفى الخليفة المقتفي سنة (٥٥٥هـ/١١٣٥م) [٥٨] ، وبويع ولده المستنجد ((اقره على ذلك ورفع منه وأدناه حتى كان يقضي اكثر أشغال الديوان ويراجع في الأمور من غير اسم الوزارة عليه))[٥٩].

وفي زمن الخليفة المستضيىء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) تم تكليف كمال الدين ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء وهو علي بن الحسين بن المسلمة ليتولى وظيفة أستاذية الدار [٦٠] ، التي استمر فيها حتى تم عزله في سنة ٥٦٧هـ-١١٧١م[٦١].

وقد استمر آل المسلمة بتولي وظيفة أستاذية الدار الواحد بعد الآخر فبعد كمال الدين وقع اختيار المستضيئ على هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب أبو الفضل ليتولى الوظيفة الذي بقى فيها حتى مقتله سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) [٦٢].

وينتهي احتكار آل المسلمة لوظيفة أستاذية الدار بعد وفاة هبة الله بن علي بن احمد بن عيسى ابن الوزير أبو الفتح عام (٦١٣هـ/١٢١٦م) والذي تولاها بتكليف من الخليفة المستضيئ بالله [٦٣].

الوزارة

لعب آل المسلمة إسهاماً كبيراً في الأحداث السياسية التي مرت بها الخلافة العباسية خلال مدة توليهم منصب الوزارة ويعد من أهم المناصب السياسية التي تقلدوها .

فقد استوزر الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) علي بن الحسن بن أبي الفرج احمد أبو القاسم بن المسلمة [٦٤]، وفي ربيع الثاني من سنة ٤٣٧هـ ((رسم لأبي القاسم علي بن المسلمة النظر في أمور الخلافة وتقدم إلى الحواشي بتوفيه حقوقه فيما جعل إليه، فجلس لذلك على دهليز الفردوس وعليه الطيلسان ، وبين يديه الدواة ، وهنأه الأعيان واستدعى إلى حضرة أمير المؤمنين ، ثم خرج فجلس بالديوان فجلس عميد الرؤساء ودسته وحمل على بغلة بمركب ، ومضى إلى داره ومعه القضاة والأشراف والحجاب))[٦٥].

وفي عيد الأضحى بعث الخليفة القائم بأمر الله إلى رئيس الرؤساء وهو علي ابن المسلمة فخلع عليه ، ولقبه بجمال الورى وشرف الوزراء[٦٦] ، وبقى في الوزارة حتى قتل سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) إذ مكث فيها ١٢ سنة وشهراً [٦٧].

وفي ربيع الثاني سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) توفى الخليفة المستنجد بالله ، فتمت البيعة للمستضيىء بالله الذي استوزر أبو الفرج محمد بن عبد الله بن المسلمة رئيس الرؤساء[٦٨].

تولى أبو الفرج أمر البيعة له والقائم بخدمته ففوض إليه وزارته إذ صدر له الأمر ((نهض عضد الدين بأعباء الوزارة نهوضاً مُرضياً ، وفرق في يوم جلوسه في دست الوزارة على الناس ذهباً كثيراً))[٦٩].

وفوجئ الوزير عضد الدين يوم الأحد (١٠ / شوال / ٥٦٩هـ/١١٧٣م) بدخول صندل الخادم داره وهو يحمل إليه قرار الخليفة المتضمن استغنائه عنه أي عزله [٧٠] .

وكان سبب عزله عن الوزارة هو سوء سيرة ولده أستاذ الدار كمال الدين الذي كان ظالما جبارا، والظاهر أن الخادم صندل كان مخول بصلاحيات واسعة للتصرف من الخليفة ، فطبق دواته وحبس كمال الدين في بيت من الدار واستولى الخادم على جميع ما في الدار [٧١]، (من المال والثياب والمتاع والخدام والمماليك والخيل وكمال الدين ينظر إلى ماله كيف ينهب ولا يقدر على الكلام) [٧٢].

الصراع بين الوزير ابن المسلمة والبساسيري :-

لقد كان البساسيري مسؤولاً عن حرس الخليفة القائم بأمر الله هو تركي الأصل وكان الخليفة لا يعلم موقف البساسيري منه ، إذ كان البساسيري يريد خلع الخليفة القائم بأمر الله

ويراسل الخليفة المستنصر بالله العبيدي بمصر فقام الوزير أبو القاسم بن المسلمة بإخبار الخليفة القائم بأمر الله بمراسلات البساسيري للخليفة العبيدي فلما تحقق عند الخليفة القائم صحة ما نسب إلى البساسيري عن عزمه على الخروج عليه ومكاتبته العبيديين بمصر أمر بإبعاد البساسيري عن بغداد (٧٣).

أشار الوزير على الخليفة القائم بأمر الله بمراسلة السلطان السلجوقي طغرلبك ابن ميكائيل بن سلجوق كي يستنجد به من البساسيري وقد وعده الخليفة القائم بأمر الله بالسلطنة ويحضه على القدوم إلى بغداد حيث كان طغرلبك مقيماً في الري * (٧٤).

وبينما كان البساسيري في واسط كان الوزير يحاول إقناع الخليفة القائم بأمر الله بإرسال جماعة تقوم بنهب وحرق دار البساسيري ، مستغلين الفرصة الناجمة عن مفارقة جزء من أصحابه له (٧٥).

إن قدوم السلاجقة وتدخلهم في هذه المشكلة كان يعني للبساسيري زوال نفوذه، الأمر الذي زاد من الصراع والعداء مع الوزير ابن المسلمة صاحب المشورة في استدعاء السلاجقة (٧٦).

وقد بعث طغرلبك رسولاً إلى الخليفة القائم بأمر الله يستأذنه في دخول بغداد فأذن له وما أن وصل سلطان السلاجقة وجيشه إلى النهروان حتى خرج لاستقباله وفد برئاسة الوزير علي بن المسلمة رئيس الرؤساء (٧٧).

ولما التقى الوزير بطغرلبك ابلغه رسالة الخليفة (يستحلفه الوزير له والملك الرحيم والأمراء والأجناد فأجابه) (٧٨).

وأثناء وجود طغرلبك ببغداد وقعت بين البساسيري وأخو السلطان طغرلبك إبراهيم ينال الذي عينه السلطان واليا على الموصل مراسلات فأطمعه البساسيري بالملك فأصغى إليه وخالف أخاه فذهب السلطان طغرلبك إلى الموصل مع طائفة من العسكر لملاحقة إبراهيم ينال أخاه ومعاقبته (٧٩).

استغل البساسيري فرصة خروج السلطان طغرلبك من بغداد سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فتمكن من إثارة الفتن والبلاء وتم للبساسيري ما دبر من الفكر حتى خاف الناس من مجيئه إلى بغداد الذي تم في ٨/ذي القعدة /سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م إذ نشبت الحرب بين الطرفين فرجحت كفة البساسيري وتمت الخطبة ببغداد للخليفة المستنصر الفاطمي بجامع المنصور يوم الجمعة ١٣/ ذي القعدة / سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م (٨٠).

وعلى اثر ذلك قام البساسيري بالقبض على الوزير أبو القاسم بن المسلمة ومن ثم قتله ، وذكرت في الصفحات السابقة الصورة البشعة التي قتل بها البساسيري الوزير أبا القاسم بن المسلمة .

وعلى اثر ذلك تم نفي الخليفة القائم بأمر الله إلى صاحب حديثة وفرضت الإقامة الجبرية على الخليفة في مدينة عانة [٨١].

اثر أستاذ الدار عضد الدين في وفاة المستنجد:-

تنقل لنا المصادر إسهاماً واضحاً لابن الوزير رئيس الرؤساء في وفاة الخليفة المستنجد الذي مرض واشتد مرضه فخاف أستاذ الدار عضد الدين وقطب الدين قايماز* وهو اكبر أمير ببغداد ، فطلب أستاذ الدار وقايماز من طبيب المستنجد أن يصف لهم ما يؤذي الخليفة فوصف لهم دخول الحمام [٨٢].

وقيل أن الخليفة قبل وفاته كتب إلى وزيره ابن البلدي يأمره بالقبض على أستاذ الدار عضد الدين وقايماز وصلبهما فاجتمع الطبيب ابن صفية بعضد الدين وأعطاه أمر الخليفة [٨٣]

احضر أستاذ الدار عضد الدين كل من قايماز وأخيه تنامش وعرض أمر الخليفة فاتفقوا على قتل الخليفة فدخل قايماز ويزدن على الخليفة المستنجد فحملاه إلى الحمام وهو يستغيث والقياه فيه وأغلقوا الباب عليه وهو يصيح حتى مات [٨٤].

بعد وفاة الخليفة المستنجد قام أستاذ الدار عضد الدين وقايماز بإعلان خبر وفاة الخليفة المستنجد وقاموا بإحضار ابنه أبا محمد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضيء بأمر الله [٨٥] .

الصراع بين الوزير عضد الدين وقطب الدين قايماز

وقعت فتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة المستضيء لأمر الله في شوال سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وسببها هو أن الخليفة المستضيء لأمر الله أمر بإعادة الوزير عضد الدين إلى الوزارة بعد ما خلعه [٨٦] فرفض قايماز رجوع عضد الدين إلى الوزارة وكان قايماز هو المسؤول عن عسكر الخلافة، ويذكر ابن كثير ((انه وزر للخليفة المستضيئ لأمر الله))[٨٧] ، وسبب رفضه هو العداوة التي بينه وبين الوزير عضد الدين وابنه كمال الدين إذ قال قايماز:- ((لا أقيم ببغداد حتى يخرج منها الوزير عضد الدين وأولاده وان هذا عدوي متى عاد إلى الوزارة قتلني))[٨٨].

فطلب الخليفة من الوزير عضد الدين الخروج من بغداد فقال الوزير:((أنا اعلم أنـــي إذا خرجت قتلت فقتلوني في بيتي فقال: لابد من الخروج فطلب الوزير بأن يفتح الجـــامع ويحـــضر فخر الدولة بن المطلب وشيخ الشيوخ وان يحلف قايماز انه لا يؤذيه ففعل ذلك وآمن الوزير)[٨٩].

وخرج قايماز على الخليفة المستضيء لأمر الله سنة ٥٧٠ هـــ/١١٧٤م وأراد أن ينهب دار الخلافة، فصعد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قايماز فنهبت، وكان ذلـــك بإفتاء العلماء، فهرب قايماز وهلك هو ومن معه [٩٠].

وفي يوم السبت ٢٧ ذي الحجة سنة ٥٧٠هـــ/١١٧٤م جاء إلى الوزير عضد الدين أمـــر الخليفة المستضيء لأمر الله يقره علـــى الـــوزارة وبقـــى فـــي الـــوزارة حتـــى قتـــل ســـــنة ٥٧٣هـــ/١١٧٧م [٩١].

الخاتمة

استنتجت من خلال رحلة البحث هذه بعض النتائج المهمة التي تعد خلاصة الموضوع .

١. يعود نسب آل المسلمة إلى جدتهم من قبيل الأم، واسمها حميدة بنت عمر والتي أسلمت ســـنة ٢٦٣هـــ/٨٧٦م وأولادها يعرفون ببني المسلمة ، ويعرفون أيضا ببني الرفيل نسبة إلى جدهم مهاذر بن جسنس، والرفيل أول من اسلم وكان إسلامه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.
٢. تقلد آل المسلمة مناصب مهمة ومن بينها منصب استاذية الدار واصبح هذا المنصب خـــاص بهم توارثوه أباً عن جد من سنة ٥٣٠هـــ/١١٣٥م وانتهى احتكار آل المسلمة لهذا المنـــصب سنة ٥٧٣هـــ/١١٧٧م ، وأيضا من المناصب المهمة التي تقلدوها ال المسلمة الوزارة إذ تقلد علي بن احمد بن المسلمة منصب الوزارة في خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـــ/١٠١٣-١٠٧٤م) وبقى في الوزارة حتى توفى سنة ٤٥٠هـــ/١٠٥٨م، وتولى الوزير أبو الفرج علي بن محمد ابن المسلمة منـــصب الـــوزارة فـــي خلافـــة المستـــضـــيء بـــأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـــ١١٧٠-١١٧٩م) وبقي في المنصـــب حتى توفى سنة ٥٧٣هـــ/١١٧٧م.
٣. كان للوزير علي بن المسلمة، وزير الخليفة القائم بأمر الله دور كبير في مساعدة الخليفة القائم ضد الباسيري الذي حاول إسقاط الخلافة العباسية وإقامة الخلافة الفاطمية حتى أدى ذلك إلى مقتل الوزير ابن المسلمة من قبل البساسيري سنة ٤٥٠هـــ/١٠٥٨م.
٤. كان للوزير أبا الفرج علي بن محمد بن المسلمة وزير الخليفة المستضيء أثرٌ وإسهام فاعـــل في الظروف التي أدت إلى وفاة الخليفة المستنجد سنة ٥٦٦هـــ١١٧٠م.

٥. لم تقتصر شهرة آل المسلمة في العراق وإنما وصلت إلى دمشق فقد كان للوزير محمد بن علي ولد وهو أبو النصر إذ خرج من بغداد إلى دمشق وكانت له علاقة طيبة مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وبقى أبو النصر في رعاية صلاح الدين الأيوبي حتى توفى أبو نصر سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م .

الهوامش وقائمة المصادر

١- ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن يحيى أبو عبد الله (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م): ذيل تاريخ بغداد،(بيروت ١٩٧٢م) ج٢،ص١٢ .

٢- الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت-١٩٦٩) ج٦، ص١٨٠.

٣- ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (حيدر آباد -١٣٥٨هـ)، ج١٠، ص٢٠٠.

٤- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد(ت٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق:عمر عبد السلام تدمر(لبنان-٢٠٠٤م)، ص١٣٠.

٥- ذيل تاريخ بغداد،ج٢،ص١٢.

٦- الخطيب، أبو بكر احمد(ت٤٦٣هـ/١١٦٧م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (بيروت-٢٠٠٤م) ط٢،ج٩، ص٤٠٦.

٧- الخطيب: تاريخ بغداد، ج١١،ص٣٩١.

٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء،(بيروت ٢٠٠١م) ط١١،ج١٨،ص٢١٦.

٩- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت-٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، (بيروت-٢٠٠٥م) ط٩،ج١٢،ص٧٥٥.

١٠- ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠،ص٢٠٠.

١١- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨،ص٢١٦؛ابن الجوزي :المنتظم،ج٨، ص٢٠٠.

١٢- ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):الكامل في التاريخ،(بيروت-٢٠٠٢م)، ج٨، ص١٥٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج٢،ص٥٣٩.

* البساسيري:- هو أبو الحارث الملقب بالمظفر ملك الامراء ارسلان التركي، كان من مماليك بهاء الدولة وكان مملوك لرجل من أهل مدينة بسا فنسب إليه البساسيري، ثم كان مقدما عند الخليفة القائم بأمر الله لا يقطع امرا بدونه، وخطب له على منابر العراق كلها، ثم

طغى وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة العبيديين (الفاطمين)، ثم انقضى اجله سنة (٤٥١هـ). ينظر/ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٨، ص١٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج١١، ص٥٤٣.

١٣- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٣٩.

١٤- ابن الدبيثي:المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيني، اختصره: شمس الدين محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت- ٢٠٠٤م)،ط٢، ج٣، ص٢٢٤.

* استاذية الدار:- وهو القيم على جميع الديار العباسية والمحافظة عليها ، انشأ هذا المنصب في عهد المستنصر بالله العباسي ، للتفاصيل ينظر ابن جبير ابو الحسين محمد بن احمد الكناني :رحلة ابن جبير (بيروت، ١٩٨٣م) ، ص٢٥.

١٥- ابن الجوزي: المنتظم ، ج١٠، ص١٥٩.

١٦- ابن الدبيثي: المختصر، ج٣، ص٢٢٤.

١٧- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٢٥٦.

١٨- ابن الدبيثي: المختصر، ج٣، ص٢٢٤.

١٩- ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص١٥٩.

٢٠- ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١، ص٢٥٧.

٢١- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٦٠.

٢٢- الذهبي: تاريخ الإسلام،ج١،ص١٣٠.

٢٣- ابن الأثير:الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٧.

٢٤- ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٧٥٥.

٢٥- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٧.

٢٦- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: ممدوح حسن محمد(دار المصري- ١٣٤٠هـ)،ص٢٩٦ .

٢٧- ابن العماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت)، ج٥،ص١٠٥.

٢٨- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٣٠.

٢٩- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٨.

٣٠- ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص١٣١.
٣١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٨.
٣٢- الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢، ص٧٥٥.
٣٣- ابن الجوزي: المنتظم،ج٨،ص١٩٦-١٩٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨،ص١٨٥.
٣٤- سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢١٦؛
٣٥- الخطيب: تاريخ بغداد،ج١١،ص٣٩١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج١٨، ص٢١٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص٢٨٠.
٣٦- تاريخ بغداد،ج١١،ص٣٩١.
٣٧- الذهبي: تاريخ الإسلام،ج١،ص١٣١.
٣٨- تاريخ بغداد،ج١١،ص٣٩٢.
٣٩- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٧.
٤٠- ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد،ج٢،ص١٦؛ الذهبي تاريخ الإسلام، ج١،ص١٣٢.
٤١- ابن الدبيثي: المختصر، ج٣،ص٢٢٤.
٤٢- ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد،ج٢،ص١٧.
٤٣- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦،ص٣٧.
٤٤- الذهبي: سير الملام النبلاء،ج١٨، ص٢١٦.
٤٥- سورة آل عمران، الآية ٢٦.
٤٦- المنتظم، ج١٦،ص٣٧.
٤٧- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٤٦.

*قطفتا: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير/ ياقوت الحموي: شهاب الدين عبد الله الرومي: معجم البلدان،ج٤،ص٣٤٧.

*ابن المعوج: صاحب الباب اسمه محمد بن أبي نصر وكان شاباً جميلاً عاقلاً ذا مروءة مات في اليوم الذي جرح فيه ولم يبلغ ثلاثين سنة / ينظر/ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص٢٨٣.

٤٨- ابن الجوزي: المنتظم: ج١٠،ص٢٨١.
٤٩- ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٨٢٣.
٥٠- ابن تغري بردي، أبو المحاسن بن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة- ١٩٦٣) ،ج٦،ص٨١-٨٢.

*علاء الدين تتامش ابن احمد قطب الدين ،قايماز زوج أخته وهو من أكابر أمراء بغداد ينظر/ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١٢،ص٤٢٤.

٥١- ابن الجوزي: المنتظم: ج١٠،ص٢٨١.

٥٢- سبط ابن الجوزي تركي ابن قزاوغلي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (حيدر آباد- ١٩٥٧م)، ج٨، ص٣٠٥.

٥٣- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ص٣٩١.

٥٤- ابن كثير : البداية والنهاية،ج١٢، ص٧٥٥.

٥٥- ابن الكارزوني،ظهير الدين علي: مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد،(بغداد١٩٧٠) ص٢٣٦.

٥٦- ابن الدبيثي: المختصر ،ج٣،ص٢٢٤.

٥٧- ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص١٥٩.

٥٨- الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج١،ص١٣٠.

٥٩- ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٢،ص١٣.

٦٠- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص٢٨٠.

٦١- ابن الدبيثي: المختصر،ج٣،ص٢٢٤.

٦٢- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ص٣٤٩.

٦٣- ابن الدبيثي: المختصر، ج٣،ص٢٢٤-٢٢٥.

٦٤- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤٠٩-٤١٠.

٦٥- ابن الجوزي: المنتظم،ج٨،ص٢٠٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٥،ص٢٥٠.

٦٦- الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٥،ص٢٥١.

٦٧- الذهبي: سير اعلام النبلاء،ج١٨،ص٢١٧.

٦٨- الاربلي، عبد الرحمن سنبط: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، (بغداد١٩٧٢م)، ط٢ ص٢٨٠.

٦٩- ابن الطقطقي، الآداب السلطانية ،ص٢٨٩.

٧٠- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص٢٨٠.

٧١- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ص٣٤٩-٣٥٠.

٧٢- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ص٣٤٩-٣٥٠.

٧٣- سرور،محمد جمال الدين:مصر في عهد الدولة الفاطمية،(القاهرة- ١٩٦٠م)، ط١،ص١٧٤.

*الري: اقليم في بلاد فارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢،ص١٢٠.

٧٤- السبكي:تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى،(بغداد-١٩٨٢م)،ط٢،ج٤،ص٣٩٣.

٧٥- السبكي: طبقات الشافعية، ج٤،ص٣٩٣.

٧٦- سرور:مصر في عهد الدولة الفاطمية،ص١٧٤.

٧٧- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان:العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد،(الكويت-١٩٦٠م)،ج٤،ص٢٢.

٧٨- الذهبي: العبر، ج٤،ص٢٢.

٧٩- السبكي: طبقات الشافعية،ج٤،ص٣٩٤.

٨٠- الخطيب: تاريخ بغداد،ج١١،ص٣٩١.

٨١- ابن الجوزي: المنتظم ،ج٩،ص١٩٣-١٩٥.

٨٢- ابن الأثير،التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق:عبد القادر احمد طليعات،(بغداد-١٩٦٠م)، ص١٥١-١٥٢.

*قايماز عبد الله، كان مملوك للمستنجد بالله وارتفع امره وعلا كثيرا فلما ولي المستضيء بأمر الله الخلافة بعد موت المستنجد زاد امره وصار مقدما على الكل وكانت الجنود كلها تحت امره، ينظر ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص٢٥٥-٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤٢٦.

٨٣- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٣٦١.

٨٤- ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية،ص١٥١-١٥٢.

٨٥- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠،ص١٣١.

٨٦- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤٢٤.

٨٧- البداية والنهاية،ج١٢،ص٨١٥.

٨٨- ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص٢٥٣.

٨٩- ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص٢٥٤.

٩٠- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ص٣٤٩-٣٥٠.

٩١- ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٨١٥.